الفصل الثاني
معوقات جدّية في وجه الحوار
وعوامل فاعلة للصدام

1 ـ حوار الأديان في خدمة الصهيونية .
2 ـ حوار الأديان الهيكل فوق أنقاض الأقصى .
3 ـ الصهيونية وحوار الحضارات .
4 ـ ما بعد الصهيونية والحوار بين الشعوب .
5 ـ الصمت الغربي عن عنصرية الصهيونية أحد معوقات الحوار .
6 ـ الإبادة في ظل الحملة الأمريكية أحد معوقات الحوار .
7 ـ حوار الحضارات والجوع في أفريقيا .

هل يصبح حوار الأديان في خدمة الصهيونية؟

توالت المؤتمرات بين ممثلين عن الأديان في أكثر من بلد، وفي عمان العاصمة الأردنية عقد إلى الآن مؤتمران لحوار الأديان، وقد حضرهما ممثلون عن الإسلام والنصرانية واليهودية إضافة لبعض الفئات المشبوهة كالبهائية والقاديانية وبعض ممثلي الماسونية والروتاري والمحافل المشبوهة الأخرى.

فعلى ماذا تحاور المؤتمرون؟ وهل حقاً يريد ممثلو اليهودية الحوار المجدي مع ممثلي الإسلام والمسيحية؟ من مثل اليهودية في مثل هذا الحوار؟ وهل هو كبير حاخامات اليهود الشرقيين العنصري عوفيديا يوسف؟ أم حفيد الحاخام العنصري شنيؤورسن المعروف بتشريعاته العنصرية الدينية؟ أم ليفنغر أو ابن الحاخام مائيركاهانا؟

هل انطلق أو ينطلق اليهود في حوار الأديان من التوراة؟ أم من التلمود؟ أم من بروتوكولات صهيون؟ أم من تنظيرات الحاخامات المعاصرين في أمريكا والكيان الصهيوني الغاصب؟

عوبيديا يوسف كبير حاخامات اليهود الشرقيين يصرح بملء فمه وعلى شاشات التلفزة أن العرب أفاعٍ ولا يؤمن جانبهم، وأن الله ندم على خلقهم، وعلى هذا يجب معاملتهم، تصريحات أثارت ضجة لدى كثير من الأوساط واعتبرها بعض العرب مشينة وغير لائقة خاصة في هذا الوقت الذي يسعى الكثيرون من العرب واليهود لإقامة سلام بينهم!!.

غريب أمر العرب، وغريب أمر المسلمين والمسيحيين كأنهم ما قرؤوا في حياتهم القرآن الكريم أو الإنجيل، وكأن ما سمعوه من هذا الحاخام أمر جديد طارئ يحتاج لردة فعل، وكأنهم ما درسوا تاريخ اليهود القديم والحديث، ولا درسوا حيثيات الجرائم الجماعية التي نفذها اليهود بناء على أوامر حاخاماتهم.

لنعد إلى تشريعات التوراة التي دونها أحبار اليهود في السبي البابلي، لنعد إلى التلمود الذي دوّنه الربانيون اليهود على مدى مئات السنين، ولنعد أيضاً إلى بروتوكولات صهيون التي زعموا أن اليهود لم يكتبوها، وصدقهم أبناء العرب والعالم، ولنعد إلى أقوال حاخامات اليهود الحديثة والمعاصرة، لنعد إلى هذه الأسس

التي تنبني عليها العقيدة اليهودية لنرى هل يمكن الحوار مع أصحاب الشأن في هذه العقيدة أم أنه لا يمكن لأحد عاقل أن يصدق أنّ أمثال هؤلاء يصعب الحوار معهم أو يستحيل إن لم يتخلصوا من تلك اليهودية التحريفية التوراتية التلمودية الحاخامية المتعصبة العنصرية، فمنهج التوراة يقوم على مبدأ نفي الآخر، لأن هذا الآخر أقل خلقاً من اليهودي، فلذلك أباح كتبة التوراة دماء الآخرين أو نفيهم أو استبعادهم.

جاء في التوراة على لسان يهوه إله اليهود: (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح إن أجابتك إلى الصلح وفُتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، تأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً، والتي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك يهوه إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريماً، الحثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك) سفر التثنية (10 : 20).

فهذا المنهج التوراتي يلقنه حاخامات الكيان اليهودي لأفراد الجيش في كافة الوحدات العسكرية والأمنية، كذلك في كافة المدارس المعاهد والجامعات، وهو دستور عسكري ديني سياسي أساسي في العقيدة التوراتية.

وهناك عشرات النصوص التوراتية الشبيهة بل الأشد عنصرية وتنتشر في كافة الأسفار التوراتية التي كتبها الأحبار أيام السبي البابلي.

أما التلمود وهو الكتاب الأشد عنصرية والأكثر دموية فإن كافة ما ورد فيه يصرح بعنصرية فجة لا مواربة فيها، ولا تفسير آخر لها.

فحسب هذا الكتاب فإن ما عدا اليهود وثنيون نجسون، ويجب أن يعاملوا على هذا الأساس، فجاء في التلمود: (إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمّي (غير يهودي) إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية).

وجاء في البروتوكول الثالث: (إن المسيحيين من الناس في خستهم الفاحشة خلقوا ليساعدونا على استقلالنا، وحينها يخرّون راكعين أمام القوة).

وجاء في البروتوكول الخامس: (إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية).

وجاء في البروتوكول الحادي عشر: (إن الأميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم، وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حين تنفر الذئاب إلى الحظيرة، والأصل في تنظيمنا للماسونية التيْ لا يفهمها أولئك الخنازير من الأميين).

وإذا انتقلنا إلى أقوال حاخامات اليهود المعاصرين فإننا لن نفاجأ بما يصرحون به، لأنه امتداد لمنهج تلمودي توراتي ظلوا عليه عاكفين.

فقد جاء في مقدمة كتاب الكوزاري الصادر بتوجيه من شعبة التربية التابعة للكنيست والحائز على مصادقة وزارة الثقافة والمعارف الصهيونية وهو بقلم الدكتور أ ـ تسيفوري: (وقد منحت التوراة لشعب إسرائيل من دون العالمين جميعاً، لأنه صفوة الشعوب بأسرها، ولأن لغته أشرف لغة ينطق بها البشر، شعب إسرائيل هو صفوة الشعوب كلها، ويرجع ذلك إلى تميز عنصره وتفوق تربيته، عنصر شعب إسرائيل هو أفخر العناصر لأنه تكوّن عن طريق الأفضل من جيل لجيل) وهذا الكتاب يدرس في المدارس الثانوية في الكيان الصهيوني الغاصب.

وقد جاء في الكتاب نفسه على لسان الحاخام شنيؤورسن قوله: (إن الفرق بين اليهودي وغير اليهودي هو من النوع الذي ينطبق عليه التعبير السائد لا وجه للشبه، إذ كيف يمكن البحث عن فرق بين شيئين من مستويين مختلفين كلياً، ففي حين يجلس اليهودي في المرتبة العليا وينحدر من الصنف الأسمى تقبع بقية الأمم في الدرك الأسفل وتنحدر من أدنى صنف، وهكذا نرى أنه من العبث البحث عن وجه للشبه بينهما) وحسبما جاء في كتاب الجمارا، فإن الجسد اليهودي يختلف كلياً عن أجساد بقية البشر والشعوب وذلك من حيث أكلُهم وشربهم وطينتهم، وما يصح على الجسم (المادة) يصح أيضاً على النفس (الروح) إذ أن أصل أرواح شعوب العالم

هو من طبقات النجاسات الثلاث، بينما أصل أرواح بني إسرائيل هو من الروح المقدس ذاتها.

ولعله لا تغيب عن أذهاننا أقوال الحاخام العنصري المقتول مائيركاهانا، فهو صاحب أكبر مشروع عنصري يدعو إلى إبادة العرب، أو إخراجهم من أرض فلسطين تحت قوة السلاح، وفي هذا العصر نسمع كل يوم تصريحات الحاخام عوبيديا يوسف، فالعرب أفاعٍ وعقارب وقد ندم الرب على خلقهم حسب أقواله، وكثيرة هي التصريحات المشابهة.

وبعد كل ذلك: ألا يحق لنا أن نسأل على أي أساس يمكن أن يحاور اليهود غيرهم في مؤتمر لحوار الأديان، ومن منَ اليهود يمثل اليهودية في مثل هذا الحوار؟

على أية حال فللصورة وجهان، وجه يطل على العنصرية، ووجه آخر يطل على السعي الصهيوني الحثيث لتكريس كل الحوارات في خدمة الهدف الصهيوني في الأساس، وهو الدخول إلى العالم العربي والإسلامي من بوابات لا تعد ولا تُحصى، فحوار الأديان وجه من وجوه التطبيع كغيره من الحوارات الاجتماعية التي تجري في مؤتمرات السكان والتنمية والمرأة، ولعل الأهداف السياسية الاستراتيجية هي الأهم في رؤية الصهاينة، وليس حوار الأديان، فما وراء هذا الحوار هو إقناع الإنسان العربي والمسلم بقبول الكيان الصهيوني في أرض فلسطين على اعتبار أن لليهود جذوراً دينية، سكانها في أرضها حسب ما تدعيه الصهيونية.

إن جل ما يمكن طرحه من قبل اليهود يدور حول هذه المسألة الخطيرة، فهم يدخلون من بوابة الإرث الإبراهيمي وبقية الأنبياء ليقنعوا العرب والمسلمين أن أرض فلسطين ومصر وحتى بقية البقاع العربية كانت متلاصقة باليهود وتاريخهم القديم، ولن يكون حوار الأديان حول وجود الله، والإيمان بوحدانيته، فهذا آخر ما يفكر به المتحاورون، فالله موجود ولا أحد من أصحاب الديانات ينكر ذلك، ولكن ما يسمى أرض إسرائيل فهي غير موجودة في الجغرافيا، ولا في التاريخ، وهنا يكون جل اهتمام اليهود الذين يسيّسون المقولات الدينية، ويدفعون باتجاه القبول العربي الإسلامي بالأمر الواقع.

والقدس التي هي أحد أهم موضوعات الحوار ستكون في رؤية اليهود العاصمة الأبدية اليهودية للكيان، ألم يخترع أحبار اليهود مقولات العاصمة الأبدية لديانة التوراة؟

إذن كيف يمكن أن يقنع اليهود متحاوري الأديان بأن القدس أرض لليهود، وأن العقيدة اليهودية قد أقرت ذلك منذ آلاف السنين؟.

حوار الأديان: الهيكل على أنقاض الأقصى

ومن الواضح أن حوار الأديان حين يصل إلى القضايا المفصلية في حياة أصحاب الأديان يصبح الحوار عقيماً إن لم يصبح أداة للإلغاء، وانتقاصاً من الدين نفسه، ومنبراً لصوت دون صوت.

فالقدس التي هي مثار للخلاف والصراع قبل أن تكون مثار جدل من أكثر الموضوعات حساسية وإثارة على مستوى ذلك الحوار، ولذلك يعتبرها بعض الحاخامات - إن لم يكن كلهم - من المحرمات التي يجب عدم النقاش فيها، ويعتبرها المسلمون من أحق الحقوق الإسلامية التي لا حوار بشأنها.

إذن كيف يستطيع ممثلو الأديان أن يتحاوروا في مؤتمر أو اثنين يعقدان هنا أو هناك أو في أي بلد آخر؟ وإذا كان الحوار يخلو من موضوعة القدس في بعدها الديني فما جدوى هذا الحوار؟ في هذا السياق نستذكر أن موضوعات الحوار بين الأديان تتناول بعض قضايا التشريع كحقوق المرأة، والإجهاض، والمواقف من الشذوذ والإباحية، وما إلى ذلك من موضوعات مشابهة، والناظر في مواد هذا الحوار يشعر وكأنها تطرح في عالم آخر يلغي الجغرافيا والتاريخ، والمقدسات الدينية، ورموزها الدينية.

والقدس التي تأخذ ما تأخذ من أبعاد دينية في العقيدة الإسلامية، وكذلك في المسيحية واليهودية تشكل المحرم الأول فيما إذا طرحت في حوار الأديان، إشكالية المحرّم تقع في أن المسلمين يعتبرون القدس مثل مكة، والمسجد الأقصى كالمسجد الحرام، وارتباط التوحيد بالقدس هو ارتباط بين القرآن الكريم وهذا المكان المقدس، ويعتقد اليهود أن القدس الإسلامية أقيمت على أورشليم التوراتية، وأن المسجد الأقصى أقيم على أنقاض الهيكل، ويرتبط أنبياء اليهود بالقدس ارتباطاً تاريخياً

وعقدياً وسياسياً، وترى المسيحية أن القدس بكنيسة القيامة والأماكن المسيحية المقدسة هي مهد انبثاق العقيدة النصرانية، ففيها كان المسيح ومنها انطلق يبشر بالعقيدة.

إذن كيف يكون الحوار بين أصحاب عقائد ثلاث ترى كل واحدة منها أنها الأحق بالقدس من غيرها، في ظاهر الأمر ليس ثمة صراع بين المسيحية الشرقية والإسلام، فالأقصى موجود وكنيسة القيامة موجودة، ولكن أين المقدس اليهودي على المستوى المادي؟ إنه حسب ادعاء حاخامات اليهود يرقد مهدماً تحت المسجد الأقصى، ويجب أن تحدد ملامحه وتظهر أطواله وأبعاده، فحائط البراق ليس كل شيء على الرغم من زعمهم أنه حائط المبكى، وفي اعتقادهم لا يكفي النواح والبكاء عند هذا الحائط حتى تظهر ملامح المقدس اليهودي.

فحوار الأديان ليس مجرد نقاش في الطهارة والنجاسة، إنه هنا حوار المصادرة، حوار من أجل التنازل عن السيادة العقدية والجغرافية والتاريخية، حوار من أجل التنازل عن المقدس الإلهي أولاً، والتنازل عن أرض ترتبط بشعب ارتباطاً تاريخياً عميقاً.

كيف يمكن أن يكون هناك حوار بين الإسلام واليهودية لا سيما في ظل احتلال عسكري للقدس وفلسطين، وفي ظل ضعف إسلامي واضح، ضعف ارتباطه بالمقدس الإلهي حتى بات عاجزاً عن حماية نفسه ومقدسه، ومنع تدميره وإلغائه من قاموس الواقع الديني للمسلمين.

ومع هذا كله يتساءل الكثيرون: من يمثل الأطراف الدينية الكبرى في مثل هذا الحوار المفترض؟ فمن الطبيعي أن ما يحمله المتحاورون في عقولهم وجعبهم يعبر عن موقف مقدس وسياسي على السواء، فالذين يمثلون اليهودية هم حاخامات اليهود المسيطرون على المؤسسة الدينية في الكيان الصهيوني وأمريكا وغيرها من البلدان، وهم من المتعصبين الأرثوذكس الذين أسسوا الكهنوت العنصري الصهيوني الحديث، عوبيديا يوسف الذي وصف العرب والمسلمين بالأفاعي كما أشرنا قبل صفحات، فهذا الحاخام يمثل أكثر من نصف اليهود الموجودين في فلسطين، وهو سلطة بحد ذاته لا تستطيع الحكومة أن توقفه عن القول والفعل.

ليفنغر: حاخام حاول وجماعته تفجير الأقصى مراراً، وهو يدعو إلى قتل العرب أو طردهم، ويعتبر استمراراً لنهج الحاخام العنصري المقتول مائير كاهانا.

شنيؤورسن: الذي يقول إن اليهود خلقوا من الروح المقدس، أما باقي الشعوب فقد خلقوا من النجاسات.

إذن من يمثل اليهودية في مثل هذه الحوارات؟ هل يمثلها حاخام طائفة ناطوري كارتا (حراس المدينة) الذي لا يُعترف به كيهودي؟ أم يمثلها حاخام عنصري قوي الشكيمة يحقد على الأغيار ويريد إبادتهم؟ وهل الكيان الصهيوني ساذج يمثله رجل دين يهودي يتنازل عما يسمى الهيكل وعن (أورشاليم التوراتية) أو يشكك في مزاعم الحاخامات اليهود بشأن القدس وجبل الهيكل؟

إن الحوار المفترض والذي يجري بين فترة وأخرى وجرى جزء منه في عمّان ليس سوى خطوة في المخطط اليهودي الشامل والرامي إلى تثبيت السيادة اليهودية على القدس، وقبول العرب والمسلمين بالأمر الواقع المفروض.

إن ممثلي اليهودية لن يأتوا محاورين، إنما يأتون فارضين تصورهم بشأن القدس، ولن يستطيعوا الحوار بشأن القدس، لأنهم محكومون لآلاف السنين من الأساطير التوراتية والأحكام التلمودية، ومحكومون أيضاً لرؤية المشروع الصهيوني الاستعماري الذي يرى فلسطين أرضاً بلا شعب لشعب بلا أرض.

ولعل الأسوأ في مثل هذا الحوار أن ممثلي الطوائف البروتستانتية الأمريكية والغربية تطرح نفس المقولات التي يرددها حاخامات اليهود حول القدس، بل إنها تغالي في أصوليتها المتزمتة وعدائها العنصري للعرب والمسلمين، وهي التي تدفع باتجاه هدم الأقصى والإسراع ببناء ما يسمى الهيكل، حتى يأتي المسيح الجديد، وهذه الطوائف لها الصدارة في الشؤون السياسية والإعلامية في الولايات المتحدة، وهي تمثل أكثر من مائة مليون بروتستانتي أمريكي من بينهم رؤساء للولايات المتحدة وزعامات الحزبين الجمهوري والديموقراطي.

إن ما نبحث فيه ليس ضرباً من الخيال، أو ضرباً من التطورات المفترضة، فإن كان حوار الأديان الذي يظهر بين الحين والآخر لم يتم بالشكل الكبير في إحدى العواصم العربية فإنه يكرس عملياً هنا وهناك في إحدى العواصم الغربية.

ولعل آخر إفرازاته ذلك اللقاء الديني الدولي الذي تم في لشبونة عاصمة البرتغال يوم 24 كانون الأول، فقد رعت هذا اللقاء وهو الثالث عشر من نوعه جميعة رجال وأديان، وشارك فيه نحو 300 شخصية دينية من مختلف ديانات العالم الأساسية، وشارك فيه أيضاً عدد من كبار المسؤولين في أكثر من خمسين بلداً.

بطريرك لشبونة: اعتبر أن اللقاء ضروري على الرغم من أنه لن يحل مشكلات العالم، وسيكون خطوة صغيرة من أجل السلام، ومن أجل البحث عن حلول لإقامة حضارة سلام، وقد كان عنوان اللقاء محيطات سلام أديان وثقافات، ولعل أهم ما بحثه هذا اللقاء مسألة التعايش والسلام في الشرق الأوسط، ونهضة أفريقيا.

وحتى نعيد إلى الذاكرة ما قلناه فإن هذا اللقاء تلّون بحضور يهودي متميز، وقد خطب فيه حاخام مدينة حيفا شائير ياشوف كوهين، فحض على إرساء السلام، ولكن أي سلام؟ إنه السلام الذي يعتبر جبل الهيكل المكان الذي يجمعنا وليس يفرقنا حسب قوله.

وحسب قوله يعني أن لا وجود للمسجد الأقصى، بل هناك وجود لجبل الهيكل، كلام هذا الحاخام يشير إلى المكان الأكثر قدسية بالنسبة لليهود، حيث يقوم في الموقع ذاته الحرم القدسي الذي يضم مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

وقال الحاخام في معرض حديثه: إن هيكل سليمان بُني ليكون موقع عبادة لكل الشعوب، ولكل الأديان، مضيفاً أنه من المأساوي أن يكون مستقبل القدس قد أصبح عقبة أمام السلام، فأين هو هيكل سليمان؟

فإذا كان المسجد الأقصى جاثماً على هذا الهيكل حسب زعم اليهود فإن دعوة الحاخام شائير كوهين تعني أنه يجب أن يشيد هيكل سليمان من جديد لينفتح أمام كافة الديانات وأصحابها، وهذا المنطلق الذي يطرحه الحاخام لم يأت على ذكر

المسجد الأقصى أو قبة الصخرة، أو الأماكن الإسلامية المقدسة، وكأني به يقول: ليُلغ المسجد الأقصى ويُقام الهيكل، وليكن أصحاب كافة الديانات يهوداً، لأن الهيكل حسب قوله: هو المكان الذي يجمعنا وليس يفرقنا، ولا يجتمع في هيكل اليهود إلا اليهود أو المتهودون، فليس من المعقول يهودياً أن يُقام الهيكل ويصلي المسلمون صلاتهم فيه، أو يقدس المسيحيون قداسهم داخله.

وعودة على بدء فإن حوار الأديان دعوة لإلغاء كل ما نزل في حق بني إسرائيل في القرآن الكريم، ودعوة لإسقاط ما في الذاكرة المسلمة من تاريخ يهودي مُشين أيام رسول الله ـ ﷺ ـ ودعوة لإلغاء التاريخ الذي شهدت كل حلقاته دموية اليهود وعنصريتهم، وبعد هذا وذاك لن يكون هناك حوار الأديان سوى فرض إلغاء إسلامية القدس، أو تهويدها، ولن يُحقق ولا بالأحلام سيادة الحق الإسلامي على المدينة العربية المقدسة، إن كل هذا دعوة لمن يريد التحاور أن يعيد النظر في الموقف والواقع والاحتمالات.

الصهيونية وحوار الحضارات:

في طبيعة التكوين النفسي تميل أكثر الشعوب والأمم إلى الانفتاح والتعارف، وتلك هي طبيعة الفطرة البشرية التي تميل إلى الأنسنة والاجتماع.

وإذا كان الشعار الأكثر بروزاً هو شعار حوار الحضارات في هذه الأيام فإن من حقنا كعرب ومسلمين أن نطرح شعارنا الأكثر إلحاحاً وهو إقرار الحق لشعب فلسطين، وتخلصه من الاستعمار الصهيوني البغيض، ومن ثم ليس هناك الكثير من المعوقات أمام شعار حوار الحضارات وتحقيقه على أرض الواقع.

الصهيونية باحتلال فلسطين وتهديد بني البشر بالفتك والنفي تقف سداً حاقداً بين قنوات الاتصال بين الشعوب، فلا حوار بين الشعوب طالما هناك صهيونية.

لماذا تتناقض الصهيونية مع حوار الحضارات؟

لا شك أن طرح مثل هذه المقولة لن يجدي طالما ظل الطرح يدور في أجوائنا وعقولنا وحدنا، فمن المفترض أن يفهم العالم بأسره وخاصة العالم الغربي أن الحوار الذي ينادي به الكثيرون لا يمكن أن يكون في كوكب آخر غير الأرض، فعلى هذه

الأرض وجهان متناقضان؛ وجه الحضاريين الذين يسعون لسعادة إنسانية شاملة، ووجه غير الحضاريين الذين يرون في الحوار قتلاً لأطماعهم وتمددهم اللاشرعي في الأرض.

ومن هنا كان على العقل البشري أياً كان أن يبحث وبشكل موضوعي عن مدى توافق الشعوب والأمم مع حوار الإنسانية، وعن مدى تعارض الصهيونية كنظرية وتطبيق مع ذلك الحوار.

فإذا عدنا إلى الأسس الخاصة التي تقوم عليها الصهيونية، وجدنا أنها أسس عنصرية استندت على حس عنصري خرافي قديم، واعتبرته مقدساً لأنه يرى في العنصر اليهودي بشراً يستحق الحياة، بينما يرى غيره حيواناً لا يستحق إلا الاستعباد والاسترقاق.

إن أحداً لا يستطيع أن ينكر وجود هذا التطلع الصهيوني لأنه موجود في النصوص التوراتية والتلمودية بشكل واضح جلي لا لبس فيه، والواقع أن النظرية الصهيونية التي استندت على مثل هذا الأساس لن يستطيع معتنقوها التخلص من عقدة الفوقية، وحتى وقتنا الحاضر ما تزال هذه العقدة تكبل العقلية اليهودية، فلا يمكن أن تتحرر منها لتنطلق إلى عالم الحوار، ويبدو أن التأثير الفكري الصهيوني بمستنده التوراتي التلمودي ما زال يؤثر في العقل الغربي، أو يضع في تصوره عقبات قوية تحد من الانطلاق نحو الحوار الإنساني البناء، وليس الحوار الذي يُفهم منه سيطرة طرف على آخر فكرياً وثقافياً وحتى عقيدياً.

وإذا تجاوزنا عقدة العنصرية في الشخصية الصهيونية الساعية لصدام الحضارات وتدميرها، فإننا لا شك نقف وجهاً لوجه مع البحث عن المعطيات الحضارية التي تتمتع بها الشعوب الحضارية، فهذه المعطيات تمنح تلك الشعوب حججاً ومبررات منطقية للبحث عن الحوار، ولكن البحث التاريخي والعلوم الأخرى كالآثار وعلم الشعوب تعجز تماماً عن إيجاد أي معطيات حضارية قدمها اليهود، وربما نتفق إلى حد ما مع القول إن اليهود لديهم تاريخ وليس لديهم جغرافيا، نعم إنهم يفتقدون للجغرافيا فيفتقدون للبناء والحضارة، أما إذا نظرنا في

التاريخ اليهودي فإننا سنكون مصدومين تماماً لما نجده من تزوير وتحريف وتلفيق وتشويه فيما كُتب ودوّن في كتاب التوراة باعتباره حسب بعض المستشرقين المغرضين المصدر التاريخي الأول للشعوب.

فإذا كانت النظرية الصهيونية لا تجرؤ على البحث عن المكونات الحضارية لليهود، فكيف لها أن تقبل بمفهوم حوار الحضارات، والواقع فإنها وكذلك أصحابها يُستبعدون من دائرة التعارف الإنساني القائم على احترام الإنسان للإنسان، فبأي وجه يمكن أن يشاركوا في حوارٍ للحضارات؟

ومن جانب آخر فإن الصهيونية وبسبب فقدان أصحابها للحس الإنساني والتساوي بين البشر، وكذلك بسبب انعدام البعد الحضاري لدى أصحابها فإنها راحت منذ البدء تسعى لتدمير الطرف العربي والإسلامي بكل السبل، لأن هذا الطرف هو المؤهل دوماً للبناء الإنساني، والحوار الحضاري المنفتح.

وعبر آلاف السنين من الصراع بين اليهودية التحريفية والحضارة العربية بدءاً من الصراع مع الكنعانيين، وانتهاءً بالصراع مع أصحاب العقيدة الإسلامية السامية لم يكن الطرف اليهودي التحريفي سوى الوجه التدميري العنصري لأي حوار، ولم يشهد التاريخ واقعة واحدة تشير إلى دور حضاري إيجابي قام به هذا الطرف العنصري.

ويبدو أن أبناء الحضارات القديمة أدركوا دوماً أن في الأرض عنصراً تخريبياً لا يريد للبشرية أن تعيش في استقرار، فلم تكن مصادفة أن يكون الرد قاسياً من قبل أبناء الحضارات تجاه اليهودية التحريفية.

وإذا كان الفكر الصهيوني منذ حوالي قرن ونصف من الزمان استطاع أن يخدع العالم الغربي، فإن طبيعة المسار الإنساني ترفض أن يبقى الخداع إلى ما لانهاية.

إن هذه الطبيعة العنصرية تريد أن تلغي العنصر الإيجابي الفاعل في بناء الحضارة، ولا شك أن هذا يجعلنا نرى عن كثب التصادم الواقع بين عنصرين متناقضين، تصادمُ عنصرٍ سلبي بعنصرٍ إيجابي، العنصر الأول يريد أن يدحر العنصر الثاني، أن يمحوه من أمامه أو يزيله، والعنصر الثاني بطبيعته وأسسه وتصوره يرفض التلاشي والإزالة والتدمير.

وإذا جاز لنا التوسع أكثر فأكثر نقول: إن الذي يمتلك عبر تاريخه سلسلة مترابطة من القتل والإرهاب والتدمير والحقد على الآخرين لا يمكن أن يكون إنسانياً في يوم من الأيام، فهو في مقياس الحضارة يقبع على الهامش متحيناً الفرص للاقتناص والانقضاض فحسب، فأين اللمسات الحضارية التي خلفها اليهود الصهاينة وأجدادهم؟ هل من أثر حضاري في مملكة الخزر التي صدّرت لأوربا الشرقية كلها هؤلاء اليهود العنصريين؟ هل من أثر حضاري لبني إسرائيل في طول البلاد وعرضها؟

من لا يمتلك حضارة يحقد على الحضارة وبُناتها، أو يندمج مع الحضاريين يبني لصالح البشرية.

لكن الصهيونية بجذورها الدينية العنصرية ما تعودت أن تشارك أبناء البشرية بناء الحضارة، وما تعودت إلا السعي لتدمير قيم الحضارة الإنسانية لأنها ترى أن حياتها مرهونة بموت الآخرين، أو إذلالهم ودس الفوضى في نفوسهم وعقولهم ومجتمعاتهم.

إن العنصر المغيّب لدى المنادين بحوار الحضارات هو العنصر الأساسي في أي حوار، وهذا العنصر هو احتلال الصهاينة لأرض فلسطين، والقيام بأكبر عملية تصفية عنصرية للإنسان الفلسطيني، فإذا كان الحوار بين شعوب اليوم يرفع شعارات كبرى كالعدالة والحرية والحق ورفع الظلم، فإن هذه الشعارات تصطدم اصطداماً مدمراً بواقع الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، وبواقع التصفية العنصرية الصهيونية لأبناء فلسطين.

وعلى الغرب الذي يطرح بعضُ مفكريه وسياسييه مسألة الحوار بين الشعوب كحل لبعض أزمات الصدام والصراع الحضاري أن يدرك أنه لا يصح أن يطرح مسألة الحوار وهو ما يزال يعيش تحت وطأة نفاق سياسي تجاه التزييف الصهيوني والخدعة الصهيونية الكبرى، والتضليل العنصري المستمر.

ولعل القيم الإنسانية التي يضعها الغرب كأسس للحوار بين الشعوب هي في الإطار النظري قيم البشر كلهم، ولكنها في الإطار التطبيقي تصبح نوعاً من التدجيل والخداع، لأنها ترى في وجود الكيان الصهيوني حقاً مشروعاً للمحتلين، وترى في

مقاومة الشعب الفلسطيني لعدوه إرهاباً أو خروجاً على القانون، فكيف يستقيم طرح الحوار بين الشعوب مع موقف غربي إجمالي يقلب الحق باطلاً والباطل حقاً؟

فإذا كان أصحاب الحضارات القديمة وأبناء الشعوب الحديثة يجمعون على أن العنصرية اليهودية التحريفية والصهيونية التدميرية عقبة كبرى في مد الجسور الثقافية الإنسانية بين الأمم، وعقبة أمام أي حوار إنساني إيجابي، فإن إزالة الفكرة الصهيونية والعنصرية من العقلية اليهودية تعتبر من أهم متطلبات الإنسانية السريعة، وذلك شرط موضوعي لأي حوار، لا نضعه نحن إنما تُجمع عليه الشعوب التي ترفض العنصرية والفوقية والاستكبار.

إن الأزمات التي تبرز بين الحين والآخر وفي بقاع شتى من هذا العالم تدور حولها عشرات الأساليب لحلها، وعدم إيصالها إلى حد الحرب والدمار، ولكن الصهيونية التي آلت على نفسها أن لا ترى العالم يتفاهم ويحل أزماته عن طريق السلام والحوار تدس أنفها ونفسها لتنفث سم التحريض والتزييف والدفع نحو مزيد من الخراب في أرضنا البشرية كلها.

وليس غريباً على الفكرة الصهيونية محاولاتها إشعال الحروب والفتن في أي مكان ترى من مصلحتها أن يدمر أو ينشغل بحروب جانبية قد تكون فتناً داخلية، وقد تكون نزاعاً مسلحاً خارجياً أو حدودياً، وهناك أمثلة لا تُحصى يعرفها الجميع ولا حاجة لإعادة التذكير بها.

صحيح أن هناك وجهات نظر نحملها تختلف عن وجهات نظر الغرب بشكل عام، قد نختلف على نمط التفكير والسلوك، وقد نختلف حول العقائد والمعتقدات، ولكنها جميعاً قابلة للحوار والنقاش، وقد تُحل الاختلافات مع الزمن، ولكن جوهر الخلاف الذي لا يمكن حله يدور حول وجود الحركة الصهيونية بأفكارها العنصرية، وحول وجود الاحتلال الاستيطاني في أرض فلسطين، فإذا استثنينا هذه القضية الشائكة والمعقدة فإن مجالات الحوار تفتح آفاقها على مداها.

فإلى متى يبقى الغرب برمته مرهوناً لهذه الحركة وأفكارها العنصرية؟ ألم يحن الوقت حتى ينفض أبناء الغرب عن كاهلهم غبار الصهيونية الأسود، ومن ثم ينطلقون نحو حوار بناء مع أبناء الشرق العربي الإسلامي؟

إن الشرق العربي الإسلامي لا يحمل في طبيعته الصدام الحضاري والصراع مع الآخرين، لأنه أساساً يقوم على قاعدة وحدة أبناء الإنسانية، مهما كانت عقائدهم ومعتقداتهم، والحوار على مدى تاريخ هذا الشرق كان الفاعل الأقوى لتفهم الآخر وفهمه عقدياً وفلسفياً وحضارياً، ولكن الصهيونية التي تقوم أساساً على نفي الآخر ترى في الحوار الإنساني مصيبة كبرى لأهدافها التوسعية العنصرية، ومحاولة تسيّدها على أبناء الأمم والشعوب.

ما بعد الصهيونية والحوار بين الشعوب

يرى بعض الكتاب أن هناك ما يسمى ما بعد الصهيونية، وهذا ما يفتح باباً للحوار لأن ما بعد الصهيونية يناقضها أو يرفضها.

وهكذا شغل بعض المزاجيين أنفسهم بمقولة حديثة صدرها بعض دهاة المفكرين الصهاينة، وتصبح المقولة بين عداد المقولات التي أريد لنا أن ننشغل بها ونتلهى عن قضايانا السياسية... ما بعد الحداثة.. ما بعد الشيوعية، ما بعد الإمبريالية، ما بعد العولمة، وهكذا فالحبل على الجرار ولا ندري أنسمع بعد ذلك ما بعد العروبة، ما بعد الإسلام، ما بعد الحرية، وما بعد الأوطان والقوميات والتاريخ، ما الذي يريدونه من شعار ما بعد الصهيونية؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال لا بد من أن نشير إلى أن عدداً من المؤرخين الصهاينة أطلقوا هذه المقولة حديثاً، وعلى الأكثر فإن طرحها لم يكن موجوداً قبل عامين أو ثلاثة، وقيل: إن هؤلاء المؤرخين هم من الجيل الشاب الجديد الذين يحاولون تخطي الأفكار والتنظيرات الصهيونية الأولى التي صدرها الآباء الأولون من الجيل الصهيوني المؤسس.

وإذا عدنا إلى طبيعة هذه الحركة ومنشئها وأفكارها نجد أنها قامت على أفكار عنصرية استندت فيها على ما يسمونه ـ التوراة المقدس ومقولات التلمود التي تفح

سمومها في الوجود كله وفي جميع الاتجاهات ـ فإذا كان يطرح بعض المفكرين اليهود مقولة ما بعد الصهيونية فإنهم يطرحون ما بعد التوراة والتلمود فهل حقاً يرفضون بعد التوراة والتلمود ويشطبونهما من قاموس الحياة الصهيونية؟

وقد روج بعض المزاجيين أفكار هؤلاء المؤرخين حين قالوا: لنذهب إلى جزيرة نائية ونقيم مجتمعاً جديداً بعيداً عن فلسطين والمنطقة، ولعل الأغرب من ذلك أن هؤلاء المنبهرين بهذه المقولات يروجون مقولات متخيلة توحي بأن في الكيان الصهيوني من يريد التخلي عن المشروع الصهيوني برمته، أي: يتخلى عن مقولة أرض الميعاد أرض (إسرائيل التوراتية) والواقع أنه بين هذا الطرح والواقع مسافة كما هي المسافة بين جمهورية أفلاطون والواقع مع الفارق في النوع والدرجة في التمييز والأفضلية.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هؤلاء المؤرخين اليهود الجدد الذين يطرحون مقولة ما بعد الصهيونية هم من جيل الصابرا، أي: الجيل الذي ولد في فلسطين ولم يولد في روسيا أو بولونيا أو أثيوبيا أو أمريكا، وجيل الصابرا هو الجيل الذي يستند إليه الكيان الصهيوني في تركيبة الجيش والمؤسسات وشن الحروب على العرب، وهذا الجيل هو الذي أفرز القادة الصهاينة العنصريين.

فما الذي يدفع هؤلاء المؤرخين لطرح مقولة ما بعد الصهيونية؟ هل لأن الجيل الذي أفرزهم لم يعد يؤمن بالصهيونية؟ هل لأن أرض فلسطين لم تعد صالحة لتحقيق أحلامهم وتخيلاتهم عن أرض السمن العسل؟

نعتقد أن المسألة أبعد من ذلك بكثير، فهي إما توحي بأن أزمة فكرية تقبع في عقول هؤلاء ليوحوا أن الحركة الصهيونية تحتاج لتجديد في التفكير والسلوك والتعامل مع الآخرين، وليس التجديد يعني الانفتاح والتخلي عن المشروع الصهيوني، وليس السلوك الذي يغير من سبل التدمير والقتل للشعب الفلسطيني تحديداً، وليس التعامل مع الآخر الذي يلغي العنصرية والفوقية والفرز غير الإنساني.

وإذا كان أصحاب هذه الدعوة جادين فالطريق مفتوح لهم ليفكروا بأي اتجاه يسافرون، وهذا مُتاح لأن في هذه الجزر النائية الجميلة في المحيط الهادي وكذلك

الأطلسي ما يصلح لتحقيق مقولاتهم، فإذا ما فتحوا الطريق وبنوا أول مستوطنة نموذجية مريحة بعيدة عن الصخب وآلام العنف والدمار فإن الكثيرين من اليهود ممن يفتشون عن هذا النموذج سيلحقون بهم ويعيشون معهم بأمان، ولكننا لسنا سذجاً حتى نقع في هذا الفخ الفكري الذي نصبوه لبعض المزاجيين منا، فما يطرح ليس إلا واحداً من سلسلة مترابطة من أساليب الإعلام الخبيث الذي يقصد إلى إنشغالنا بما هو مستحيل وتناسينا ما يجري على أرض الواقع من ذبح وقتل وتدمير وتهديد للحياة.

إن إشاعة مقولة ما بعد الصهيونية يطرح على العقل العربي سؤالاً في غاية الخطورة، فإذا كان المؤرخون الصهاينة الجدد يطرحون شعار ما بعد الصهيونية فهل فكرتم أيها العرب بمقولة ما بعد العروبة، أو ما بعد الإسلام، فماذا بعد العروبة.. ماذا بعد الإسلام.

لا شك أنهم يلقون السؤال ولا يجيبون ويتركون العرب ومفكريهم يتخبطون في إيجاد الجواب الشافي على مثل هذا السؤال، ذلك الشرك الذي أرادوه والذي يبدو أن المهزوزة أفكارهم وقعوا فيه، وبتنا نسمع همساً يعلو شيئاً فشيئاً، ماذا بعد العروبة؟ ماذا بعد الإسلام؟ عناوين عفا عليها الزمن، لتجددوا فكركم أيها العرب والمسلمون!! ولتدخلوا العولمة كي نرى السعادة الإنسانية تعم من خلال حوار الحضارات والثقافات!

هكذا تصبح العروبة من مخلفات الماضي، وهكذا يصبح الإسلام كابوساً يجب التخلص منه.

أما الهوية فهي ليست سوى مقولة ساذجة في عالم يعيش اليوم بين الحاسوب والإنترنيت، ما بعد الصهيونية ذئب عتيق يرتدي جلد نعجة أو لنقل ذئب خبيث يلبس ثياب الجدة، ويتقمص شخصيتها حتى يبتلع حفيدتها الطفلة البريئة، ونعتقد أن طرح هذا المفهوم ليس بعيداً عن طرح حوار الحضارات على المقاس الغربي، أو عن طرح مفهوم العولمة، وليس بعيداً أن العقل اليهودي الصهيوني العالمي هو الذي روَّج للعولمة وما بعد الصهيونية، ويروج لها إما مفهوماً مفهوماً، أو حزمة من المفاهيم، وإلا ماذا يعني طرح هذه المفاهيم ونشرها على نطاق واسع في زمن ما يسمى أحادية

القطب، وفي زمن الحصارات وزمن تسيّد القوى الصهيونية والإمبريالية العالمية على الاقتصاد والتجارة والإلكترونيات المعقدة ووسائل الإعلام؟

إن من يراجع الحركة الصهيونية وأفكارها منذ أكثر من مائة عام يدرك أن طرح المفاهيم الكبرى كمفهوم ما بعد الصهيونية ليس قفزة في الهواء، أو هو ظاهرة شاذة منحرفة عن المسار، ونعتقد أن المفاهيم هذه حين يطرحونها لا تخرج عن نطاق التفكير الصهيوني الاستراتيجي، ولعلنا نتذكر جميعاً كيف بدأت الفكرة الصهيونية قبل أن تظهر الحركة الصهيونية نفسها كحركة سياسية قادها هرتزل والقادة الصهاينة الأوائل منذ عام (1840) بدأ تاريخ الترويج اليهودي للفكرة من خلال ما يسمى حركة أحباء صهيون وغيرها من الحركات التي ظهرت بأوربا الشرقية وروجت لأفكار صهيونية خيالية أو غير قابلة للتصديق والتحقيق آنذاك.

ونتذكر جميعاً كيف افتعلت الجماعات الصهيونية اليهودية خلافات مع هرتزل والحركة السياسية الصهيونية، لكنها كانت جميعها في نفس المسار في الدائرة الصهيونية الكبرى التي استخدمت كافة الوسائل والأساليب لصنع ما يسمى الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ثم ما يسمى الكيان القائم على أرضها.

وهنا نحن نشهد نفس المسرحية، ولكن تحت عنوان جديد وآلية جديدة، فالذين يطرحون ما بعد الصهيونية ليسوا سوى حفنة من المؤرخين الشباب دُفعوا لطرح مفهومهم لتكون هناك ردة فعل صهيونية عامة تدعو إلى التشبث بالكيان والقتال من أجل التسيّد والتفوق في المنطقة.

ولعل ما سمعناه همساً أو تلميحاً أو تصريحاً من قبل عوفيديا يوسف الحاخام العنصري ومن قبل بعض مَن تبقّى من الرعيل الصهيوني الأول أمثال شارون ما يدل على أن تكتيك الحركة الصهيونية يستوجب دوماً الدفع نحو خلق حيوية للتفاعل بين التجمع الصهيوني والتشبث بالأرض.

ونعتقد أن خمسين عاماً مضت على احتلال فلسطين لم تستطع أن تؤسس أسساً راسخة لدى الشخصية الصهيونية تربط بينها وبين الأرض المحتلة فلسطين.

وطرحُ مثل هذه المقولات من شأنه أن يكون كالوخزة التي توقظ من أراد النوم أو الاسترخاء.

على أية حال فإن ما تطرحه الأفكار الصهيونية لم يعد غريباً، ولا تنطلي حيلته علينا، ولكن الذي يقلق هو أن يتناول بعض الكتاب المحليين السذج نقاشاً حول هذه المفاهيم، فهم بذلك يروجون لمقولات يريدها قادة الصهاينة أن تكون الشغل الشاغل لنا، وكأنها فعلاً قضايا مفصلية تغير وجه الصراع.

نعم لقد وقع بعض هؤلاء الكتاب في فخ المسرحية الصهيونية، ولا ندري هل أصاب هذا الفخ العقول أو الأجساد، لا ندري ألم ينتبهوا للألم الداخلي الذي أحدثه الوقوع بين فكي الفخ؟ أم أن الوقت لم يحن بعد حتى يصحوا ويدركوا جوهر الصهيونية تكتيكاً واستراتيجية؟

وحتى نختصر المسألة نرى أنه لا شيء بعد الصهيونية سوى الصهيونية كما أنه لا شيء قبلها ولا شيء بعدها سوى نفسها.

الصهيونية واحدة مهما تغير الوقت، ومهما تقدم بنا الزمن.

ونعتقد أن هذه الفكرة القائمة أساساً على الأساطير التوراتية، والتهويمات التلمودية، والأفكار العنصرية لا يمكن لها أن تنتهي إلا في حالة واحدة وهي حالة إلغاء التوراة المحرفة والتلمود العنصري من العقل اليهودي وهذا ضرب من المستحيل.

إن الذين طرحوا مقولة ما بعد الصهيونية ليسوا دعاة تدمير للتوراة المحرفة والتلمود، وليسوا دعاة سلخ الشخصية اليهودية من يهوديتها، ولنسا نجد في هذا المقام أفضل من قوله تعالى حين وصف العقلية اليهودية بقوله: }لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة{ فهذه هي العقلية التي لا تؤمن بشيء لأنها ترى نفسها فوق كل شيء ولن يؤمنوا بحقنا لو خرجنا من جلودنا وعقائدنا وانتمائنا القومي والإسلامي.

الصمت الغربي عن العنصرية الصهيونية أحد مقومات الحوار بين الشعوب:

أجمع الغرب شعوباً وحكومات على أن العنصرية النازية وامتدادها شكلت تحديا لجميع القيم الإنسانية التي أجمعت عليها غالبية شعوب الكرة الأرضية.

وحين تبرز إلى الوجود حركات النازية الجديدة في ألمانيا والنمسا وغيرها من البلدان تستنفر كافة وسائل الإعلام، وكذلك الأصوات الحكومية الرسمية لتحذر من تنامي هذه الحركات وانتشار أفكارها العنصرية.

وعبر المسيرة المعاصرة لكافة الحكومات الغربية وشعوب بلدانها عبرت الأصوات الشعبية والحكومية عن رفضها لسياسة التمييز العنصري التي كانت سائدة في جنوب أفريقيا وغيرها من المناطق الأفريقية، وعملت هذه الأصوات على إنهاء هذا التمييز العنصري لأن العصر لم يعد يحتمل أن يرى تمييزاً بين الشعوب والبشر بسبب اللون أو العرق أو الدين.

وإذا كان الغرب اليوم يدعو لحوار الشعوب فلماذا يتغاضى عن جرائم صهيونية عنصرية تفوق في ممارساتها ما فعلته النازية والتمييز العنصري في جنوب أفريقية، فالذي يدعو للحوار مع العرب والمسلمين من المفترض أن تكون حقوقهم مصانة وليست منتقصة، ونعتقد أن أهم حق للعرب والمسلمين هو حقهم في فلسطين والمسجد الأقصى، وهما أكثر مكانين يتعرض فيهما العرب والمسلمون لجرائم عنصرية لم يشهد التاريخ الحديث مثلها.

والأقسى من ذلك أن الغرب برمته يتغاضى عن ممارسات الصهيونية العنصرية ويجد لها آلاف التبريرات حتى يبعد عنها صفة العنصرية، ولعلنا نتذكر كيف عمل الغرب بقضة وقضيضة لإلغاء قرار الأمم المتحدة الذي يساوي بين العنصرية والصهيونية.

وقد ألغي القرار وكأنهم يريدون إلغاء الحقيقة، والحقيقة لا تُلغى ولا تشطب بقرار، وحين تتحرك بعض الشعوب لاعادة الاعتماد للقرار الذي يساوي بين الصهيونية والعنصرية تقوم قيامة الغرب والحركة الصهيونية، فيكرسون الإعلام المضاد ويرسلون المندوبين من أعلى مستوى سياسي ليوقفوا تحرك الضمائر الإنسانية التي ترى عنصرية الصهاينة كل ساعة وهي تمارس ضد الشعب العربي في فلسطين.

في جنوب أفريقيا تحركت الضمائر الإنسانية لتعقد مؤتمراً دولياً عن العنصرية الصهيونية فتستنفر الولايات المتحدة، وتبدأ حملتها للضغط على حكومة جنوبي أفريقيا لإلغاء المؤتمر المنوي عقده، وإلغاء الموضوع المتعلق بالعنصرية الصهيونية.

وفي كثير من البلدان يضغط اللوبي الصهيوني دوماً باتجاه إلغاء أي قرار أو ندوة أو مؤتمر يدين سياسة الاحتلال العنصرية الصهيونية، ولعل قرار بلجيكا بتعديل المادة القانونية التي تجيز محاكمة مجرمي الحرب أياً كانت مواقعهم دليل واضح على خضوع الغرب للضغوطات الصهيونية الواسعة في أوربا وأمريكا.

فهذه المواقف وذلك السكوت عن ممارسات العنصرية الصهيونية باتت تشكل لدى الإنسان العربي وغير العربي موقفاً معادياً للغرب باعتباره يقف بصمته إلى جانب ممارسات الصهاينة دون أي اعتبار لمشاعر العرب والمسلمين وكافة أبناء الشعوب والإنسانية، لكن مع كل هذه التوجهات الغربية وردود الأفعال عليها لا بد أن نطرح سؤالنا التالي:

لماذا يسكت الغرب عن العنصرية الصهيونية على الرغم من أنه يمتلك أحدث وسائل الإعلام لتريه ما يحدث من ممارسات جيش الاحتلال ورئيس حكومة الصهاينة وطاقمه من السياسيين والعسكريين والسياسيين والأمنيين.

وحين نفتش عن جواب نجد عشرات الأجوبة على هذا السؤال وليس على جواب واحد، فبعض الدارسين يرون أن الغرب لا يزال تحت تأثير العنصرية التي مورست في أفريقيا والشرق الأوسط إبان الاستعمار المباشر لها، بمعنى أنه لا يرى في ممارسة جيش الاحتلال الصهيوني عنصرية تمارس ضد الشعب الفلسطيني، وبعض القارئين لطبيعة العلاقة بين الحركة الصهيونية والغرب يرون أن الغرب برمته يخشى الصهيونية ويرهبها لما تملكه من رؤوس أموال، ووسائل إعلام، ونفوذ في أوساط القوى السياسية العالية المستوى في أوروبا وأمريكا، وطرف ثالث يرى أن من مصلحة الغرب سياسياً واقتصادياً واستراتيجياً أن يتعامل مع الحركة الصهيونية بود واحترام، وأن يرى المصلحة العربية في المقام الأخير، وأن يتعامل مع العرب استناداً إلى أساس واحد تغلب فيه مصلحة الغرب على كل المصالح.

وتكثر الإجابات حتى يبدو أن جميعها يقع في دائرة الصواب، وتشكل منظومة صحيحة لجواب واحد.. بمعنى أن كل التحليلات للأسباب الكامنة وراء موقف الغرب من العنصرية الصهيونية صحيحة على الرغم من أن كل جواب وحده

يظل ناقصاً إن لم يدعمه الجواب الثاني والثالث. على كل حال فإن ما نريد قوله هو أن الغرب حسب رأي قادته يمثل الديموقراطية والحرية الإنسانية، فهو يعادي حسب ما يقول كل أشكال الديكتاتورية، ويشن حملاته ضد كل أشكال الإرهاب والعنف كافة، حتى إنه يقف معادياً ضد أي كتاب أو مجلة أو محطة فضائية تتخذ موقفاً معادياً للحرية كما يفهمها الغرب.

ومع كل هذا وذاك فإننا نسأل الغرب برمته ألم تقرؤوا كتاب التوراة؟ ألم تقرؤوا نصوص التلمود؟

ونعتقد أن جميع الغربيين قرؤوا التوراة باعتباره العهد القديم، وباعتبار الإنجيل العهد الجديد، وقرؤوا التلمود أكثر منا، ونسخُه موجودة باللغة الإنجليزية والفرنسية والطليانية في المكتبات الكبرى وبعض الكنائس البروتسانتية، ونحن لم نر نسخة كاملة منه باللغة العربية.

وللتذكير فقط نورد النص التالي من سفر اللاويين من التوراة، الإصحاح الخامس والعشرين من الفقرة السادسة والثلاثين حتى الفقرة السابعة والأربعين.

أما اليهود فإنهم عبيدي الذين أخرجتهم من مصر لا يباعون بيع العبيد، وأما عبيدك وإماؤك الذي يكونون معك فمن الشعوب الذين حولكم، منهم تقتنون عبيداً وإماء، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لك وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر).

فإذا قلتم إن هذا النص كان معمولاً به في عصره، فماذا تقولون في حكم الجملة الأخيرة من هذا النص؟ ألم يقل تستعبدونهم إلى الدهر؟ ألا يعني الدهر هنا حتى آخر وجود بشري على هذه الكرة الأرضية.

ونحيلكم إلى نص آخر من التلمود يقول: (من يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود بالفردوس، والجلوس هناك في السراي الرابعة ـ ومن العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر ـ لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً إلى الله.

وماذا تقولون بأقوال هرتزل عندما صرح بأنه سيقوم بحملة صيد كبيرة ليضع القنابل في وسط الحيوانات (العرب) ويميتهم جميعاً.

وماذا تقولون بأقوال عوفيديا يوسف عندما صرح بأن العرب أفاعٍ وعقارب ويجب أن يبادوا وأن الله ندم على خلقه العرب.

كل هذه النصوص التي وردت في التوراة والتلمود والفكرة الصهيونية لا تشكل شيئاً يذكر من العنصرية لدى الغربيين، ولو تعني شيئاً لوجدنا الواقع الغربي مختلفاً من حيث موقفه من العنصرية الصهيونية وسلوكها المشين.

إن الغرب الذي يصيح دوماً ويحتج على العنصرية والديكاتورية ويدافع عن الحرية والديموقراطية حري به أن يفتح العينين معاً لا أن يفتح عيناً ويغلق أخرى، حري به أن يكون ذا وجه ينظر إلى الأمام لا أن يكون ذا وجه يرى من جنبه الأيمن ولا يعير أي اهتمام لجنبه الأيسر.

إن ممارسات الصهيونية العنصرية لا يكفيها سجل واحد حتى يتبين أنها فعلاً عنصرية! والواقع أن هناك سجلات تاريخية وعقيدية تلطخ وجه هذه الحركة بوصمة عار للعنصرية على شتى أشكالها القديمة والحديثة.

وإذا كانت دعاوى الغرب صادقة من أجل الحوار بين الشعوب وحرية الإنسان وكرامته فعلى الغرب نفسه أن يفكر أيضاً بحرية ومنطق إنساني متكامل دون أي ضغوط نفسية واقتصادية أو فكرية، ودون أي رهبة أو خوف من قول الحقيقة التي هي واضحة كالشمس في رابعة النهار.

إن الغرب بصمته عن ممارسات الصهاينة يعارض ما يطرحه من حوار للحضارات والثقافات، وهو يتحمل مسؤولية أخلاقية كبرى أمام التاريخ، وأمام الإنسانية جمعاء، وأمام ما يطرحه من قيم الديموقراطية ومعاداة العنصرية.

وإذا بقي الموقف الغربي سلبياً تجاه ما يجري من ممارسات العنصرية الصهيونية، فإن مصداقية ما يطرحه ستُفقد قطعاً إن كان ذلك على المستوى الفكري أو المستوى الاجتماعي أو غيرهما من المستويات، وسيدرك الذين لا يزالون غير مدركين أن

الغرب بموقفه السلبي تجاه العنصرية الصهيونية وممارساتها سيعيد إلى الذاكرة ممارسات الغرب الاستعماري العنصرية إبان الحرب العالمية الأولى واحتلال الوطن العربي.

وسيعيد إلى الذهن العربي تقويمه لمواقف العالم الغربي المعاصرة، عندها لن يكون الغرب بمنأى عن التعرية، وفضح كافة جوانب حياته السياسية والفكرية والنفسية والاقتصادية.

وإذا كان الغرب يضع مصالحه الاقتصادية في سقف أولوياته فإن ذلك لن يكون سوى تهديم لكل طروحاته التي يصيح بها هنا وهناك، ونعتقد أن الزمن يتغير ولن يبقى على مسار واحد يرتضيه الغرب فحسب، وتلك طبيعة الأشياء فما بالنا في طبيعة البشر والأوطان؟

الغرب يقرر استنكار انبعاث العنصرية والعداء للسامية ومظاهر العنف، ويرى أن إنكار الهولوكست أو إغفاله يعزز الاتجاهات العنصرية والتعصب، ويقرر تجريم كل من ينكر الهولوكست أو نفيه أو مراجعته، فهل يجرم الغرب من ينكر الهولوكست بحق فلسطين من قبل الصهيونية العنصرية؟ الغرب حليف الولايات المتحدة أعربت دُوله عن تفهمها للموقف الأمريكي الرافض لاعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية، فهل تعرب دول الغرب عن تفهمها للأطفال الرضع والشيوخ والنساء من أبناء فلسطين وهم يذبحون كل ساعة على أيدي العنصرية الصهيونية؟

الإبادة في ظل الحملة الأمريكية أحد معوّقات الحوار بين الشعوب:

إذا كانت فلسفة الإبادة الجماعية الأمريكية قد سوقت نفسها تحت شعار محاربة الإرهاب، واستطاعت أن تلجم الكثيرين وترعبهم، فإن سياسة الكيان الصهيوني الدموية ما كانت لتحصل لولا الضوء الأخضر المستمر في اخضراره من قبل الولايات المتحدة وما يسمى دول التحالف المشتركة في الحملة على أفقر شعب مسلم في الكرة الأرضية.

وإذا كان الغرب وعلى رأسه أمريكا يتحدث عن حوار الحضارات، أو الحوار بين الشعوب فكيف يستقيم الطرح بينما يوعز هذا الغرب للكيان الصهيوني بشن حملة إبادة بحق الشعب الفلسطيني؟ فسياسة الكيان الدموية المعهودة ظلت تحسب

حساب ردات الفعل الدولية والمحلية حتى حدث ما حدث في نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من أيلول، وما تبعه من حملة شرسة بالصواريخ وطائرات ال ـ ب 52 العملاقة، وغيرها من أسلحة الدمار على أفغانستان.

فعندما بدأت هذه الحملة الأمريكية تحت شعار محاربة الإرهاب فتحت الولايات المتحدة الطريق أمام شارون والكيان الصهيوني بشن أكبر حملة إبادة بحق الشعب الفلسطيني، وبات من الواضح أن هذه الحملة لن تجد لها صدى في معمعة ما يجري على الساحة الأفغانية، فهي فرصة لمزيد من القتل، ولمزيد من تدمير عشرات المنازل الفلسطينية، ولمزيد من الحصار والتجريف والتجويع.

قد يدعي بعض من يخدعون أنفسهم أن الولايات المتحدة بذلت جهدها السياسي لمنع شارون من الاستمرار في جرائمه، ففي كل يوم تخرج تصريحات أمريكية من بوش وباول وتشيني وغيرهم ظاهرها الطلب من شارون أن يكف عن توسيع عمليات القتل والإبادة، وباطنها المزيد من القتل، وانتقاء الأهداف البشرية والمادية الفلسطينية كي تكون في مرمى الدبابات وطائرات الأباتشي المتطورة.

على أي حال فمن يقرأ ما وراء السطور وما وراء التصريحات على شتى اتجاهاتها يرَ أن شارون ما كان ليوسع جرائمه لولا وجود حيثيات مساعدة، إن كانت على الصعيد الإسرائيلي أو الصعيد الأمريكي.

فالتجمع الصهيوني الذي عايش سياسة شارون الدموية وجد فيها ما يشبع رغباته ومساعيه الأمنية والسياسية، وهو بذلك يفصح عن دموية جماعية لا تقتصر على شارون وحده، إنما تشمل الأحزاب الصهيونية كلها يمينها ويسارها، والرغبة في إبادة الشعب الفلسطيني أصبحت ملحة لدى القطاعات الصهيونية كلها، المتحزبة وغير المتحزبة، ولا يخفى على المرء أن ما تشهده الأراضي الفلسطينية من قتل جماعي، ونسف منازل يشكل في السياسة الصهيونية ردة اعتبار، لأن الانكسار والاندحار الصهيوني في جنوب لبنان كاد يشكل انهياراً نفسياً وعسكرياً فأراد شارون أن يوقف هذا الانهيار بتحويل وجهة إبادته للشعب الفلسطيني الذي يعيش ظروفاً

مختلفة عما كان يعيشه المقاتلون في جنوب لبنان، ولعل ذلك ما حقق شيئاً من الرغبة الصهيونية في تخطي الأزمة التي برزت مع اندحار الجيش الصهيوني من الجنوب.

أما على الصعيد الأمريكي، فقد استطاعت الحملة الصهيونية الشرسة في أمريكا والعالم الغربي أن تقنع الكثير من الأمريكيين والغربيين على حد سواء بأن الحملة الدموية ضد الانتفاضة الفلسطينية هي جزء من الحملة الأمريكية البريطانية على ما يسمى الإرهاب على الجانب الأفغاني، أوجد الأمريكيون ذرائع لحملتهم النكراء على الشعب الأفغاني الأعزل، وما كادت القاذفات تدك بيوت الطين والقش والمدارس والمساجد في أفغانستان حتى أُسقط في أيدي الكثيرين الذين كانوا ما يزالون يخشون غضب الجماهير العربية والإسلامية من تطور الحملة واستهدافها الفقراء من الشعب الأفغاني، بل وتحولت أهدافها وغاياتها من ضرب لمن سمتهم أمريكا بالإرهابيين إلى ضرب وحشي لمجمعات الأغذية، والأماكن المدنية الأخرى.

في هذا الظل النفسي والعسكري وجد شارون ضالته فصعّد حملته الدموية ليستهدف الأطفال والنساء والمساجد والمراكز المدنية جميعها ليشكل وجهاً آخر من وجوه الحملة الأمريكية على أفغانستان، فإذا صرح مسؤول أمريكي بأن على شارون وقوات الاحتلال وقف المزيد من القتل للمدنيين، جاء الرد الصهيوني بمزيد من الاستهتار وكأنه يقول: إنكم تفعلون في أفغانستان أكثر مما نفعل بالفلسطينيين، فلماذا تطلبون منا أن نكون على غير ما تكونون أنتم؟

إن منطق الإجرام الصهيوني لا يجد حرجاً عندما يصرح بأن ما تستهدفه قواته ليس سوى الإرهابيين ومن يؤويهم، وإذا ما وقع أي خطأ في قتل نساء أو أطفال فإنه لا يختلف عن الأخطاء الأمريكية التي أوقعت آلاف القتلى من الأطفال والنساء في أفغانستان، وهذه هي طبيعة الحروب، بهذا المنطق استطاع شارون أن يجعل من التصريحات الأمريكية مجرد أقوال ليس لها أثر في الواقع، بل إنها مجرد كلام للاستهلاك فحسب فأميركا التي تريد من شارون وقف شكل حملته ليست قادرة هي ذاتها على تغيير شكل حملتها التي كانت أخطاؤها القاتلة أكثر بكثير من صوابها وإصاباتها، وحين ننظر إلى تصريحات المسؤولين الأمريكيين المتعلقة بالقضية

الفلسطينية نرى أن أهم ما فيها تحميل الفلسطينيين مسؤولية ما يجري حتى لو أبيدوا جميعاً على يد شارون وآلته العسكرية الأمريكية الدموية، إن تصريحات الإدارة الأمريكية أشبه بمن يصرخ بالإدانة وفي الوقت نفسه يشير بيده التي خلف ظهره أن هذا الكلام ليس جدياً فافعلوا ما يحلو لكم، وهكذا يفهم شارون اللعبة الأمريكية أو هكذا تعود عليها مثلما تعود عليها من سبقه في الحكومات الصهيونية المتعاقبة.

ولعل أكثرنا سذاجة يتساءل ماذا حملت تصريحات بوش وغيره من المسؤولين الأمريكيين للفلسطينيين عندما زلّت ألسنتهم ولهجوا بالدولة الفلسطينية، فبدل أن تخف المعاناة الفلسطينية ازدادت قسوة وضراوة، وبدل أن يتضاءل عدد البيوت المدمرة تزايد وتضاعف، وبدل أن يشعر الفلسطيني بشيء من الأمل أغلقت كل الأبواب والنوافذ في وجهه وسقط أمله مثلما سقط دوماً في سلة مهملات السياسة الأمريكية المخادعة.

إن كل هذا يؤكد للشعب الفلسطيني أنه الخاسر الوحيد إذا راهن على السياسة الأمريكية، ولن يكون له أمل ولا نجاة إذا هو انتظر ما يسمى الحل الأمريكي، فالأمل الفلسطيني الحقيقي يكمن في استمرار انتفاضته وجهاده ضد المحتلين المعتدين، ولن يوقف شارون ومذبحته المستمرة سوى الرد الجهادي المسلح.

إن شارون يدرك أكثر من غيره أنه عندما ينفذ سياسة الإبادة بحق الشعب الفلسطيني يعرف تماماً أن الغرب برمته وعلى رأسه أمريكا لن يلجمه، وأن العالم العربي نائم لا يريد أن يصحو حتى لو أصبحت دماء الفلسطينيين أنهاراً.

إن أمريكا والغرب إذا كانوا فعلاً يريدون حواراً نافعاً بين الشعوب فعلى الأقل عليهم أن يوقفوا دعمهم للسياسة الصهيونية الدموية في فلسطين وهم قادرون على ذلك دون أدنى شك.

- **حوار الحضارات والجوع في إفريقيا:**

لعل ما يلفت انتباهنا اليوم وجود أكثر من اثني عشر مليون إنسان إفريقي معرضين للموت جوعاً، فإذا كان حوار الحضارات الذي يدعو له الغرب يسعى لحل المشكلات الشائكة بين الشعوب فإن من أخطر المشاكل التي تواجه أي حوار وجود الجوع في إفريقيا وهو يهدد الملايين من الأفارقة.

فالأزمات الصعبة وأصعبها الجوع تمر بها بلدان برمتها كأثيوبيا وأريتيريا وجنوب السودان والصومال وحتى أوغندة وكينيا، فإن كانت المجاعة تضرب أطنابها في هذا البلد أو ذلك فإن أزمات قاتلة تعشش في أكثر من بلد كالاقتتال في الكونغو أو سيراليون أو رواندا، إضافة للأعاصير التي تجتاح دولة بأكملها بين الحين والآخر فتترك أهلها بين السماء والطارق بعد أن ضاعت معالم القرى والمدن والبيوت والشوارع.

أزمات لا تنتهي وهي منذ زمن بعيد لم تتوقف.

فالاستعمار التقليدي ظل في أفريقيا عشرات السنين، نهب الثروات والخامات وقيد الأفارقة بمعاهدات اقتصادية وثقافية تصب جميعها في صالحه، وليس في صالح أهل القارة من الفقراء، وكما يقول المثل لقد أكلوا اللحم وتركوا أفريقيا هيكلاً عظمياً مجرداً من كل مقومات الحياة، أفريقيا التي كانت مستودعاً لا ينضب من الثروات الزراعية والخامات المعدنية الثمينة تعجز اليوم عن توفير أقل احتياجات الحياة لعشرات الآلاف بل الملايين من الأفارقة.

الغرب أقام صناعته وغناه وثروته على حساب الأفارقة والأرض الأفريقية، واليوم عندما ينظر المرء إلى هؤلاء الملايين يموتون جوعاً، وينظر إلى الصمت الغربي إزاء ما يحدث للأفارقة، يقع في المحظور من المفارقات الغربية والانهيارات العصبية، من هو السبب في الفقر الأفريقي؟ وما السبب في وجود الأزمات؟

لقد حاولت الولايات المتحدة أن تجعل من أثيوبيا قاعدة متقدمة لمصالحها، وأشعلت حرباً بينها وبين أريتريا راح ضحيتها الآلاف من الطرفين، وعندما تنبهت كل من أثيوبيا وأريتيريا أن الخاسر الوحيد هي الشعوب الأفريقية حاولت إيقاف النزيف الأخوي، لكن أمريكا تلعب لعبتها في العلن والخفاء لتحقق مصالحها وأهدافها الاستراتيجية في القرن الأفريقي وأفريقيا برمتها، وبعد أن وقعت أثيوبيا ووقع القرن الأفريقي في المأساة الأصعب والأعقد ـ مأساة الجوع ـ همت أمريكا وبعثت بالفتات الذي لا يكفي القليل من البشر، وليس عن طريقها بل عن طريق منظمات أهلية إنسانية كما أطلقوا عليها، وإذا نظرنا إلى زاوية أخرى من زوايا المأساة والمفارقة وجدنا الألم يكبر وكشفُ النفسية الغربية يتضخم.

في عام (1994) جرت إبادة جماعية في رواندا وأسفرت عن مصرع (800) ألف إنسان من التوتسي والهوتو المعتدلين، وقتها كان العالم الغربي يتفرج ولم يحاول أي بلد غربي أو أمريكي أن يوقف الإبادة الجماعية، بل إن بعض العنصريين من المفكرين الأميركيين رأوا في هذه الإبادة أمراً جيداً لأنها تخفف من عدد سكان أفريقيا الذين هم بنظر هؤلاء العنصريين فائض بشري لا يحتاج إليه الكون أو الكرة الأرضية.

لكن الأدهى من ذلك أن يأتي وقتها رئيس وزراء بلجيكا (غي فيرهوفشتات) ويطلب العفو من رواندا باسم بلاده عن الإبادة الجماعية التي وقعت وراح ضحيتها ذلك العدد الذي ذكرناه وهو (800) ألف إنسان أبيدوا.

جاء إعلانه أمام أعلى السلطات في رواندا حيث قال: علينا قبل كل شيء تحمل مسؤولياتنا والاعتراف بأخطائنا حتى يتسنى لرواندا أن تدير وجهها نحو المستقبل (رواندا كانت مستعمرة بلجيكية) ويخلص إلى القول: إنني أنحني باسم بلادي أمام ضحايا الإبادة، وباسم بلادي وشعبي أطلب منكم العفو.

فلماذا يطلب رئيس وزراء بلجيكا العفو من رواندا عن المجازر التي أبيد فيها الآلاف من الروانديين؟ أهي صحوة ضمير بعد أن زرعت بلجيكا الاستعمارية الفتنة بين التوتسي والهوتو؟

أهو رد اعتبار بعد أن سلب الاستعمار البلجيكي ثروات رواندا وترك الشعب من الهوتو والتوتسي دون موارد فيتقاتلون ويذبح بضعهم بعضاً حتى الإبادة؟

على أي حال إذا كانت بلجيكا حريصة على أن تنظر رواندا إلى المستقبل والمصالحة، فعليها أن تبرهن على ذلك عملياً فتقدم المساعدات المالية الكافية والوافية لتنقذ رواندا من آثار الحرب الأهلية الفتاكة التي أفنت الشعب الرواندي عام (1994) وكان عليها على الأقل أن تعوض رواندا عما سلبته من أرضها وشبابها، ومن آثار استعمارها لها مدة زمنية طويلة، فهل تصدق بلجيكا في مقارنة القول بالفعل، وهل تقرن عفو رئيس وزرائها بتقديم التعويض الكافي والموازن؟.

إذا نظرنا إلى زاوية ثالثة لنرى موقف أمريكا والغرب مما يحدث في افريقيا فإن أمامنا قضية قد يعيرها الكثيرون اهتماماً، وهي قضية تعليق أمريكا مساعداتها لزيمبابوي

وعدم دفع بريطانيا تعويضات لهذا البلد الذي عانى الأمرّين من العنصرية على يد المستعمرين الإنجليز وعملائهم، لماذا علقت واشنطن مساعدتها لزيمبابوي؟ ولماذا لا تدفع بريطانيا التعويضات؟ لنعد إلى القصة من أولها، فالرئيس الزيمبابوي روبرت موغابي حث المحاربين القدامى في حرب الاستقلال على الاستمرار في احتلال المزارع التي يمتلكا البيض بطريقة سلمية، وأعرب المزارعون البيض عن قلقهم الشديد إثر إقرار البرلمان قانوناً يسمح بانتزاع ملكية أراضيهم دون دفع تعويضات لهم.

المدهش في الأمر أن بريطانيا اعتبرت أنه لا يمكن لزيمبابوي أن تلزمها دفع التعويضات في حين علقت واشنطن مساعداتها المخصصة للإصلاح الزراعي احتجاجاً على استمرار ما أسمته احتلال المزارع.

فالمزارع للبيض العنصريين الذين ظلوا أثراً واضحاً لسياسة الاستعمار والتمييز العنصري، ولكن هذه المزارع شكل من أشكال الاستعمار المباشر، الاستعمار الاستيطاني، والسيادةُ الوطنية تستدعي التخلص من كل أشكال الاستعمار، وأرض هذه المزارع التجارية الكبيرة وبما فيها من بيوت سكنية فاخرة تقع على أرض وطنية وليست خارجها، ومن حق المواطنين أن يكونوا أسياداً عليها لأنها تراب وطني.

وبسبب الموقف الوطني تناصر القوى الأمريكية والبريطانية المرشح المنافس لموغابي حتى تضمن بقاء المزارع للبيض وذلك في الانتخابات التي جرت في أوائل شهر آذار عام (2002)،المستوطنون البيض تحايلوا على القانون واعتبروا أنفسهم مواطنين زيمبابويين ليس لهم علاقة بأرض زيمبابوي ولا بشعبها، لا العنصر عنصرهم ولا الأرض أرضهم، وليس لهم سوى الرحيل لبريطانيا لموطنهم الأصلي، ومن حق المواطنين المحرومين أن يكونوا أسياداً لأرضهم يستثمرونها كما يحلو لهم، ويطعمون جياعهم كما يرون.

فبأي حق تعلق واشنطن مساعداتها الزراعية لزيمبابوي، أمن أجل حفنة من المستوطنين المستعمرين؟ أم تريد أمريكا أن يبقى الرجل الأبيض مستعلياً متعالياً سيداً على عبيد فقراء؟ أم تريد دوماً أن تزرع للبيض مواطيء أقدام كي تعيد نفسها بشكل استعماري جديد لأفريقيا؟ لقد عبر موغابي عن البعد الوطني لهذا الاسترجاع المشروع للمزارع، فقال خلال لقاء سياسي انتخابي عقده في بندورا شرق العاصمة

هراري: (ادعو المحاربين القدامى متابعة نشاطهم بصورة سلمية) وأضاف: أراضينا تعود إلينا طبقاً للدستور لم تعد أراضيهم (البيض) إن البرلمان قد أرسى العدل، وندد بشدة بمواقف الحكومة البريطانية منذ وصول توني بلير إلى السلطة، وقال: بريطانيا تتحمل مسؤوليات ومنها دفع تعويضات إلى المزارعين الذين استولوا على أراضيهم خلال المرحلة الاستعمارية، وإذا كان البريطانيون يرغبون في إجلاء (20) ألف مزارع أبيض فالأمر يعود إليهم، وأردف ساخراً: الطرقات والأنهر والمغارات وحتى شلالات فكتوريا كلها مفتوحة أمامهم، أما بريطانيا العنصرية والتي امتصت خيرات زمبابوي طيلة قرون فإنها احتجت على قرار زمبابوي، وقد اعتبرت وزارة الخارجية البريطانية أن زمبابوي بقرارها إلزام بريطانيا التعويض على المزارعين لا يمكنها أن تملي شروطها على دولة أخرى، وأعلن متحدث باسم وزارة الخارجية البريطانية (لا نقبل البند الدستوري الذي يفرض علينا التزاماً ما، ونعترف بحق زمبابوي في سن قوانينها، ونقر أيضاً بوجود حاجة ملحة لإجراء إصلاح زراعي.

والجدير ذكره أن حوالي (4) آلاف من المزارعين البيض أي: أقل من 10٪ من عدد السكان يملكون نسبة 30٪ من أراضي البلاد.

فأي عدالة هذه؟ وأي نوع من الاستعمار والاستعباد؟ وتحتج الولايات المتحدة ويا للعجب من هذا الاحتجاج الذي يأتي من دولة استولت على ملايين المساحات من أراضي الهنود الحمر، وأبادتهم في أسوأ وأشرس حرب إبادة عرفتها البشرية.

هذه هي صورة الغرب تجاه الأزمات في أفريقيا، إنها أبشع الصور الاستعمارية التي سمعنا عنها عبر التاريخ.

ويبدو أن الغرب وأمريكا في الصدارة لا يريدون لأفريقيا الخير ولن يريدوه، فهذه القارة التي رفعت رأسها مجدداً وفتحت عينيها لتستيقظ من آلامها وتقطيع جسدها لا تُرضي أمريكا بل تغضبها، كيف تصحو هذه القارة بينما تخطط أمريكا وبشكل استراتيجي للحلول محل الاستعمار القديم لتستكمل ما تبقى من نهب خيرات القارة الخصبة، فهذه الصحوة الأفريقية يجب أن تحارب حسب المنطق الغربي، ولا يجب أن ترتاح لتدخل عالم حوار الحضارات وهي معافاة من مشاكلها.